

حج الحياة الحقيقية في الله في موسكو، 2-10 أيلول 2017

كيف نبني الجسور بين انقساماتنا ونحقق السلام في العالم؟

القس ماريانو أرييانو
راعي الكنيسة الانجيلية الاسبانية

طاب مساءكم. سلام وبركة لكل واحد منكم.

أشكر الله على فرصة وجودي معكم في هذه الأيام الخاصة، وكذلك على شرف تبادل بعض الكلمات معكم.

طَلَبَ مني منظمو هذا الحدث أن ألقى كلمة موجزة حول موضوع "كيف نبني الجسور بين انقساماتنا ونُحَقِّق السلام في العالم". والحقيقة هي، أنني ومنذ البداية، وجدت تحديًا كبيرًا في الحديث عن هذا الموضوع، الذي يَحْمِلُ في طياته تداعيات عميقة.

راودتني، لسبب ما، صورة طريق نسلُكهِ جميعاً. الطريق يعني الحركة، وهذا يعني أننا لا نريد البقاء حيث نحن، نريد أن نُطَوِّر حياتنا، لنبلغ إلى أهداف شخصية وجماعية جديدة. فإن كنا شعبًا مؤمنًا فنحن نُريدُ أن نَنضُجَ رُوحياً. ونَحْنُ جميعاً (مع استقلالية معتقداتنا ...) نرغب ببناء عالم أفضل، عالم يُمكننا أن نعيش فيه بِطريقةٍ أكثر كرامة وإنسانية.

أستغرب جداً كيف أننا، وعبر التاريخ البشري، كثيراً ما أظهرنا عدم قدرتنا على السير معاً. وقبل كل شيء، أجد من الصعوبة قبول ذلك بيننا نحن الذين ندعو أنفسنا "مسيحيين"، أبناء الأب نفسه، وبالتالي فنحن إخوة وأخوات.

هناك نص في الانجيل يُمكن أن يُساعدنا على فهم بعض الأسباب التي تجعل وحدتنا صعبة المنال.

نَجده في إنجيل مرقس، الفصل 9 والآيات 30 إلى 37. ولكن نظراً لضيق الوقت، سوف أقرأ فقط الآيات 33 إلى 35:

وجاؤوا إلى كفرناحوم. ولما دخل ألبيت سألهم: "فيم كنتم تتجادلون في الطريق؟" فظلوا صامتين، لأنهم كانوا في الطريق يتجادلون في من هو الأكبر. فجلس ودعى الأثنى عشر وقال لهم: "من أراد أن يكون أول القوم فليكن آخرهم جميعاً وخدامهم."

لِقِصَصِ الأناجيل قدرة هائلة تُظهر لنا أفكاراً جدَّ عميقة بواسطة استخدام صور يومية بسيطة جداً. يُمكننا وبالأخص في هذا المقطع الصغير أن نجد انعكاساً لكلِّ تاريخ الكنيسة المسيحية في هذا العالم.

دعونا نتعمق قليلاً بعد في النص. يتبع التلاميذ يسوع على الطريق، تمامًا كما نفعل نحن... لكنهم كانوا يتناقشون على طول الطريق. ربما كان الأجدى بهم أن يُولوا المزيد من الاهتمام لتعاليم يسوع لكنهم كانوا يتناقشون فيما بينهم؛ واضعين بذلك يسوع على حدة. لاحظوا أن الربَّ لم يُشارك في نقاشات تلاميذه ولمَّا دخلوا البيت سألهُم يسوع: "فِيمَ كُنْتُمْ تَتَّجَادَلُونَ فِي الطَّرِيقِ؟"

و تُخبرنا القصة أنَّ التلاميذ لم يُجيبوا الربَّ، ربما لأنَّهم شَعَرُوا بِالخَجَلِ... وقد يَسألنا الله السؤال نَفْسَهُ بالتحديد "فِيمَ كُنْتُمْ تَتَّجَادَلُونَ فِي الطَّرِيقِ؟" هل بإمكانكم أن تتخيَّلوا كم سيكون مُحزناً لو أننا وقفنا نحن أيضاً بِخَجَلٍ أمام الله، في صمت مزعج؟

أعتقد أنه من المفيد لنا كأخوةٍ وأخواتٍ يسعون للوحدة أن نركِّز اهتمامنا على موضوع جدال التلاميذ: "من هو الأهم، ومن هو الأعظم".

وأعتقد أن هذا السؤال المُحزن كان يُفلق شعب الله على مدى تاريخه، وفيه نجد بعض التدايعات التي كانت تُضربُ بوحديتنا وأخوتنا.

وعندما نُسأل كأفراد أو كجماعات "من هو الأهم؟" فإننا نُنشئ فئات فيما بيننا، ونسلك الطريق بفكرٍ تنافسي، يَنظُرُ إلى الآخر كمنافِسٍ وليس كأخ.

عندما نطرح هذا النوع من السؤال في قلبنا، فإننا نَعْتَرِفُ بأنَّ البعض أفضل من سواهم؛ أن بعضنا أرفع شأنًا من الآخرين؛ وأنَّ الحقيقة التي نملكها نحن عن الله هي أكثر أصالة من حقيقة أخي الذي لا يُفكر أو يؤمن تمامًا كما أفعل أنا... عندما ندخل في هذه الديناميكية الخطيرة فإننا نُحاول امتلاك الله ونُلزِمُه بهيكلياتنا العقلية والكنسيَّة الخاصة بنا... فيما الحقيقة هي أنه لا يمكن لأَيِّ مَنَّا أن يستحوذَ على الله، ولا أحد يستطيع أن يعتقد أنه يَحْتَكِرُ حَقِيقَتَهُ، أو يَحْتَكِرُ شَخْصَهُ أو مَحَبَّتَهُ...

عندما نعتقد أن البعض منا أفضل من الآخرين، وعندما نعتقد أنه بإمكاننا ان نَمْتَلِكَ الله وأن نحبسه داخل هيكلياتنا الفكرية الخاصة، فإن ذلك سيقودنا إلى الإعتقاد أن وحدها حَقِيقَتُنَا هي المَهْمَةُ، وأنه لدينا الحق في فرضها على الآخرين. ومن ثم عندما تصبح حقيقة الله، التي يجب ان تكون هي مصدر الحياة والكرامة، عنصرًا في خدمة المؤسسة الدينية (مهما كان الاسم ...)، يصبح لدينا العذر المثالي لِسَدِّ جِوْعِنَا إلى السُّلْطَةِ.

أعتقد أن جميع الكنائس المسيحية قد ارتكبت هذه الخطيئة في بعض الأحيان، وعلينا أن نطلب المغفرة من الله. ويجب أن نطلب معاً من الله أن يعلمنا المزيد عن طبيعة ملكوته، الذي بشر به يسوع في هذا العالم، حيث لا مكان للمزاحمة والتنافس، ولا وجود لطبقات أو حواجز بين مواطنيه، وحيث لا أحد يدعي الإستحواذ على الله، بل هو الله الذي يملك علينا، وملكوته مبني على رحمته وعدالته وحبّه.

ملكوت الله هو ذلك الذي يعيش فيه كلّ واحد منّا لأجل الآخرين، لأننا عندما نحبّ أخانا نُحبّ الله نفسه. هذا الإله الذي هو قريب جداً منّا، ويسير إلى جانبنا، وليس علينا أن ندعه على حدة، بعيداً عن مناقشاتنا. فلندعه يواصل قيادتنا ويجعلنا أدوات حُبّه وسلامه ورجائه في هذا العالم الذي نسير فيه معاً. بارككم الله.